إمداد القاري

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الثاني

مكتبة الفرقان

١٢٠- [باب ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾].

ش: تمامها: **﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾.**

قوله **﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾.**

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ما بحر الله بحيرة، ولا سيب سائبة، ولا وصل وصيلة، ولا حمى حامياً، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة، فحرمتموه افتراءً على ربكم»اهـ.

قوله **﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾** أي ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعاً لهم وقربة يتقربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم.قاله ابن كثير.

تفسير جملة من الآثار الكلمات:

١- [﴿وإذ قال الله﴾ يقول: قال الله، وإذ ها هنا صلة].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه وقال الله يا عيسى "وإذ" من حروف الزوائد وكذلك وإذ علمتك الكتاب والحكمة.أي علمتك» اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾.**

٢- [المائدة: أصلها مفعولة، كعيشة راضية، وتطليقة بائنة، والمعنى ميد بها صاحبها من خير، يقال مادني يميدني].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «قال رؤبة:إلى أمير المؤمنين الممتاد.

أي المستعطى المسؤول به امتدتك ومدتني أنت» اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾.**

٣- [وقال ابن عباس: ﴿متوفيك﴾ مميتك].

ش: قال الحافظ: «هكذا ثبت هذا هنا، وهذه اللفظة إنما هي في سورة آل عمران فكأن بعض الرواة ضنها من سورة المائدة فكتبها فيها، أو ذكرها المصنف هنا لمناسبة قوله في هذه السورة ﴿**فلما توفيتني كنت أنت الرقيب**﴾» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي**﴾ الآية.

قلت: وما أخرجه المصنف عن ابن عباس رواه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير موصولاً من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

١٤٤- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.

قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب، والوصيلة الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي.

وقال لي أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري: سمعت سعيداً قال: يخبره بهذا قال: وقال أبو هريرة: سمعت النبي ﷺ نحوه.

١٢١- [باب ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد﴾].

ش: قلت: الآية ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

قوله ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ـ إلى قوله ـ ما دمت فيهم﴾.

قال ابن كثير: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني بإبلاغه ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ أي ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه، ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ أي كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم»اهـ.

قوله ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

قال ابن جرير: «يقول فلما قبضتني إليك ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني؛ لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم.وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ـ إلى قوله ـ وأنت على كل شيء شهيد﴾ يقول: وأنت تشهد على كل شيء؛ لأنه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا؛ فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: كفر النصارى باتخاذهم المسيح إلآها من دون الله.

ثانياً: برآءة المسيح ﷺ من هذا الصنيع وإثبات نبوته.

١٤٦ـ حدثنا أبو الوليد[1]، حدثنا شعبة، أخبرنا المغيرة بن النعمان قال: سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ إلى آخر الآية. ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

ش: فيه إثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**قام فينا النبي ﷺ يخطب**» وقع لمسلم في صفة الجنة بدل قوله يخطب «بموعظة» أخرجه عن محمد بن بشار شيخ البخاري فيه ومحمد بن المثنى قال واللفظ لابن المثنى قالا حدثنا محمد بن جعفر بسنده المذكور هنا، وكذا أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر.

الثانية: قوله «**فقال إنكم**» زاد ابن المثنى «يا أيها الناس إنكم».

الثالثة: قوله «**محشورون**» في الرقاق باب الحشر برواية غندر عن شعبة «تحشرون» ولا تعارض بينهما في المعنى.

الرابعة: قوله «**حفاة**» جمع حافي وهو من ليس عليه نعل.

الخامسة: قوله «**عراة**» جمع عاري يقابل المكسي.

قال البيهقي: «وقع في حديث أبي سعيد يعني الذي أخرجه أبو داود

---

(١) هو هشام بن عبد الملك الباهلي، مولاهم الطيالسي، البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين] وله أربع وتسعون. ع.

وصححه ابن حبان» .

قلت: وصححه الشيخ ناصر برقم (١٦٧١) أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً، أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم، وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم، وممن حمله على عمومه معاذ بن جبل فأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال: دفنا أم معاذ بن جبل فأمر بها فكفنت في ثياب جدد وقال: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها» قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل، وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ على أحد الأقوال وهو قول قتادة. قال: معناه وعملك فأخلصه ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه «يبعث كل عبد على ما مات عليه» أخرجه مسلم، وحديث فضالة بن عبيد «من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة» الحديث أخرجه أحمد، ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر، ويتأيد بقوله تعالى: ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾ وقوله تعالى: ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾» . حكاه الحافظ .

قال مقيده: وظاهر الخبر هو الذي يتحتم المصير إليه إذ لا حجة على أحد إلا بنص الكتاب وصحيح الخبر عن المعصوم ﷺ وأعدل الوجوه التي ذكرها الحافظ عندي هو الثالث لموافقته ظاهر الخبر.

السادسة: قوله «**غرلاً**» بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأقلف